المبحث الثاني:

العوامل الموضوعية – والذاتية.

في ضوء ما تقدم سوف نلقي بعض خيوط من ضوء على العوامل الموضوعية والذاتية التي تؤثر بالإبداع ويتأثر بها الإبداع، ولكننا قبل التحدث عن هذه العوامل، ألا يجدر بنا أن نُعرف ونَعرف ماهي مفردات العوامل الموضوعية، ومفردات العوامل الذاتية التي تسهم في الإبداع، هذا التساؤل الذي قد تجيب عنه البنود التالية ؟!

البند الأول – بعض مفردات العوامل الموضوعية:

بداية لابد من الإشارة بأن الإبداع مطرح خلافٌ بين نظريات عدة منها من يعيده إلى عوامل ذاتية بحتة، ومنها ما يجعله و يعيده إلى عوامل موضوعية، ودون أن نسمي هؤلاء المنظرين نتساءل ماهي مفردات العوامل الموضوعية؟ وفي معرض إجابتنا عن هذا التساؤل نؤكد بأنها عوامل عديدة نسميها ونشير إلى بعضها فيما يلي وهي :

الواقع - والبيئة.	الواقع الاجتماعي.
الواقع الاقتصادي.	الواقع السياسي.
الواقع التراثي -والتاريخي.	الواقع الثقافي والفني.
الواقع الإداري.	الواقع المالي.
التطور العلمي.	التطور التقني...الخ

إننا ندرك بأن الإنسان يمتلك شخصية مركبة (ولكن هذه الشخصية تختص بخاصة جوهرية ذات أبعاد وشمولية نادرة لا يملكها أي كائن عاقل حي، هذه الخاصية هي (إنسانيته ،وبأنها شخصية ولاّدة وغير جامدة) ، فهو {مخلوق طامح

oberkandl.com

متطلع مرات عديدة، مرة الى أمامه ومره حوله،" ومرات إلى غده وما بعد ذاك الغد} ، لذلك فهو مُبتكِر ومبدع ينشد دائما التطور الأفضل، لأن الخصائص التي تتسم بها هذه الشخصية ، تجعل منها حاضن مبتكر تؤدي إلى المزيد من الصفات أو السمات(التي تعزز مكانتها ، وهي تتغير بتغير طاقاته الذاتية والموضوعية ، (وتتغير بفعله وبتغير البيئة والمجتمع وتطورهما بحيث تسهم جميعها في خلقه.

لذا فإن مفردات العوامل الذاتية عديدة لا يمكن حصرها ، إلا أن ذلك لا يمنعني من أن أشير إلى بعض هذه العوامل فيما يلي مثل:

البند الثاني: بعض مفردات العوامل الذاتية ومنها:

الذكاء - الموهبة - الإدراك - الإرادة - الوراثة - السلوك - الانفعال - الشعور -واللاشعور - العاطفة - الأحلام - والخيال – والألم - الثقة بالنفس الإقدام – التضحية - الانفتاح....الخ

وبعد الإشارة إلى بعض مفردات العوامل الموضوعية والذاتية، لا بد لنا من أن نحدد موقفنا من هذا كله، من خلال إظهار بعض الجوانب والصور لتلك العوامل، (موضوعيا - وذاتيا):

أولا العوامل الموضوعية:

إن المفردات المتقدم ذكرها في هذا المجال، تنتمي بمجملها إلى العوامل الموضوعية التي يتأثر بها العقل قبل الوصول إلى إبداعه، هذا التأثر ليس تأثراً شكلياً بل جوهرياً، مع التأكيد بأنها ليست هي العوامل الوحيدة التي تتأثر وتؤثر في الإبداع، بل يشاركها في ذلك عوامل أخرى.

وللبيان لابد من أن نطرح بعض الأسئلة ونجيب عنها لنبين كيفية مشاركة هذه العوامل في خلق بيئة الإبداع، ولنبين كيف يمكن أن تتشارك وتتحالف وتتكامل عضوياً في كثير من الحالات في تكوين وتفعيل العوامل في العملية الإبداعية ؟

لذلك فإن سؤالا آخر يطرح نفسه يقول: هل تتشارك هذه العوامل فيما بينها منفردة أم مجتمعة في صناعة الإبداع؟

والسؤال الآخر هل هذه العوامل قادرة على أن تنتج إبداعا بدون الإنسان وقدراته الذاتية؟

في معرض إجابتنا عن تلك الأسئلة بمجملها لا بد من أن نؤكد أولاً بأن الإنسان هو الذي خُلق ليكون المبدع الأول والأخير لهذه العوامل، وهو موصِّفها ومصنِّفها، ومُحدد لدورها في البناء الإبداعي، بدءاً من مرحلة الخيال والتفكير ولغاية نتيجة المطاف الإبداعي.

ثانيا العوامل الذاتية:

البند الأول: المبدع الأول:

في معرض إجابتنا عن تلك الأسئلة بمجملها، لابد من أن نؤكد بأن الإنسان (أولاً) هو المبدع الأول والأخير لهذه العوامل (وثانياً) هو موصَفها ومصنَفها ومحدد دورها في البناء الإبداعي، بدءاً من مرحلة الخيال والتفكير ولغاية النتيجة النهائية لمطاف العمل الإبداعي.

والسؤال الآخر هل هذه العوامل بمجملها قادرةٌ على أن تنتج إبداعاً بدون الإنسان وقدراته الذاتية؟ خاصة وأن الذاتي منها يدخل فيه وفي تكوينه (العقلي والذهني والسلوكي والانفعالي والعاطفي) للإنسان لهذا فإن الجواب يأتي قولاً واحداً بالطبع لا، لأن الإنسان هو الذي يحلم ويتخيل ويفكر ويسبر ويحلل الموضوعي والذاتي منها، ويربط الأحداث فيما بينها ويدعها تتفاعل، ليستنتج وينتج خلقاً منظوراً وملموساً ومفيداً.

إذن من هنا نؤكد بأن العوامل الموضوعية، المتمثلة في الواقع بما فيه من معطيات وظواهر وفعاليات اقتصادية واجتماعية وتاريخية وسياسية ومادية... الخ.... تشكل العوامل المهمة وقد يكون بعضها الأهم في عملية الإبداع، بعد أهمية بعض العوامل

obeikandl.com

الذاتية التي يحوزها الإنسان نفسه والتي تصنف في العوامل الذاتية، إذ بها ومعها وبتفاعلها تتم الولادة والخلق والإبداع لتلبية الحاجات التي نحتاجها والتي تكون غير متاحة أو غير ملبية للحاجات بسمات أفضل.

من هنا تأتي أهمية أن ينبري فرسان العلم والمعرفة إلى ساح البحث بالتفكير والسبر والتحليل، لتحديد الظواهر المعلومة المتاحة وغير المعلومة التي تتصل بالإنسان وحياته وتلبية حاجاته وتحقيق طموحاته القريبة والبعيدة، لأن هذا الإبداع يستلزم بالضرورة إعمال كل تلك القدرات المحفزة وخاصة ((الخيال - والذكاء - والتفكير التأملي والتحليلي - والإمعان، في استخدام العلم والفلسفة وعلم اللغة والفلك، بالإضافة الى العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ....الخ في مجالات العلم المتنوعة والمختلفة))

البند الثاني: تحالف العوامل الموضوعية والذاتية.

ونلاحظ مما تقدم التحالف بين بعض عوامل "الموضوعي والذاتي" ، تلك العوامل التي تنتظر ومضات العقل البشري لتنطلق صوب الواقع بالسبر والتحليل والاستنباط والوصول إلى نتائج، لأن المهم الكشف والتقدم نحو الهدف وكشف جوهر الظاهر و المتاح، والبحث عن جوهر الجديد والمجهول وحول المهم الملح هو النتاج الذي يعكس حقائق علمية، ويكشف جوف هذا النتاج، وحتى كشف خلاياه وتعداده، لكي ندرك كيف تتفاعل جميع مكوناته مع محيطها الداخلي، وبين بعضها بعضا بغية الحصول على المعرفة الدقيقة عن هذا الواقع وما يعتريه من ظواهر ومتغيرات لا تنقطع) تلك المتغيرات التي تتم بفعل مكونات الطبيعة نفسها، وبفعل الكائنات الحية الكائنة فوق ظهرانيها وفوقها وبداخلها وحولها، تلك التي تعاملها وتلك التي تتعامل معها.

هذه الظواهر بعناصرها الغنية المتنوعة، وإحداثاتها المختلفة تشكل مطارح أو منابع إلهام مؤثرة في المبدعين وإبداعاتهم، كونها تعكس الومضات المحفزة المادية والمعنوية المبحوث عنها من قبل المبدع، الذي يتفاعل معها ويلج محراب هذه العملية

التي قد تتمخض عن النتيجة أو المنتج المطلوب أو المادة المطلوبة التي فرضتها الحاجة أو المتغيرات أو الإحداثات.

تلك الومضات التي تتلقفها القدرات العقلية والذهنية والسلوكية للكائن الحي العاقل المبدع لتتعامل معها معاملة تسهم في تكوين نواة الابداع وانطلاقتها، مما يساعده في تكامل الرؤية حول الموضوع المطروح بصورة جزئية أو كلية .

هذه الرؤية التي تتولد لدى المبدع، تعبّر عن تفاعل قدراته مع تلك الومضات التي تنسج الشيفرة التي تمثل المعالم الأولى للبوصلة المؤدية إلى الهدف، هذه النتيجة التي يشترك في إنجازها التفاعل الكيميائي والسلوكي مع الهدف المعول عليه لديه، تلك الشيفرة التي تحقق الوصل والتنسيق بين الذهني والمادي في تكامل عملية الإبداع التي نريد ونتصور وفق المعطيات المتوفرة في الواقع ، والتي قد تستجيب لها الإضافات السابقة المبتكرة في الموضوع نفسه ، لتؤدي إلى تكوين أو تحسين المنتج (المقصود).

obeikandl.com